

فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم

الباحث الأديب

مجاهد منعر منشد الخفاجي

المقدمة

الحمد لله على ما ظهر من نعمه وقرب من سابغ منته وصلاته وسلامه على نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا.. وبعد:

هذا البحث الموسوم بـ (فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم) كتب إلى مهرجان (فتوى الجهاد الكفائي في الذاكرة العراقية) . ويشتمل على ثلاثة مباحث , الأولى: الجهاد , تعريفه , مفهومه لغة واصطلاحاً , موجباته العامة في القرآن الكريم , فروع , العلة منه , منهجيته .

والمبحث الثاني : تاريخ الجهاد عند أتباع أهل البيت : ذكر فتوى الجهاد السابقة في العصر الحديث . إما المبحث الثالث: فتوى الجهاد الكفائي , العوامل الأساسية لها , متابعتها , أبعادها , نتائجها.

أوضحنا في هذا البحث المواضيع المذكورة بعدة نقاط , وحاولنا أشباع البحث بالأدلة من خطب المرجعية الدينية العليا , ومن خلال ذلك بينا حرص السيد السيستاني أصدر فتواه من أجل السلم وانتشال البلد من الخطر الخارجي والداخلي , ثم كيف أوقد نار حب الوطن بين أبناءه ؟

ووصلنا بالاستنتاج إلى نتائج كان للفتوى الأثر الحاسم فيها كمنع مخطط تقسيم العراق , والدعوة للوحدة الوطنية , فصلاً عن ذلك ما اشتملته الفتوى من قضايا إنسانية . ذكرنا في الهوامش بعض المصادر المعتمدة , والتعريف بالعلماء الذين أصدروا فتاوى الجهاد .

وينتهي البحث بذكر المصادر مع الخلاصة , وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ المرجعية ويمد في عمره , ويرحم شهداء الفتوى من كافة القوات الأمنية , ويشافي الجرحى إنه سميع مجيب.

المبحث الأول

الجهاد

الجهاد فرع من فروع الدين الإسلامي الحنيف , وكونه من الواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده - أمر بديهي , فأن وجهه بالجملة - من ضروريات الشريعة الإسلامية .

أما أشارته في القرآن الكريم , قوله تعالى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١) , ففي القرآن الكريم ما يُقارب (٤٠ آية) تتحدث عن الجهاد بلفظ الجهاد ومشتقاته .

- مفهوم الجهاد في اللغة^(٢):

كلمة (جهاد) مصدر على وزن (فعال) , وهو مأخوذ من الجهد (بفتح الجيم) , أي التعب والمشقة , أو من الجهد (بفتح الجيم وضمها) , وهو الوسع والطاقة , ومنه قوله (الذين لا يجدون إلا جهدهم)^(٣) .

وفي لسان العرب , الجُهد والجُهد : الطاقة , نقول اجهد جهداً . وقيل (الجُهد) المشقة و(الجُهد) الطاقة . الليث : الجهد ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق , فهو مجهود , قال والجهد لغة بهذا المعنى ..

وجهد دابته جهداً وأجهدها , بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها^(٤) .

مفهومه في الاصطلاح

استعمل الشرع في لفظ الجهاد في الكثير من المعاني , منها بذل الطاقة في الخير والشر , ومنها الدعوة السليمة إلى الله تعالى , والصبر على الأذى في سبيل ذلك , ومنها أيضاً جهاد النفس وهواها , والسعي في طلب المعيشة بالحلال , وعبادة الحج , وطلب العلم , والقتال في سبيل الله وهذا المعنى الأخير ما يهمننا منه اصطلاحاً .

وبالنسبة للشرع أستخدم هذا اللفظ (الجهاد) مجرداً من القرينة الأمر الذي يعني أن هذا المعنى هو المعنى الشرعي الحقيقي للفظ (الجهاد) .

أن النظر في الآيات القرآنية الكريمة التي شرعت الجهاد ما يدل صراحة على الأسباب والأهداف التي من أجلها كان الجهاد فرضاً وواجباً من الواجبات التي جاءت بها الشريعة المحمدية .

- موجبات الجهاد العامة في القرآن الكريم

١. الدفاع عن النفس حسب الآية : أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ^(٥).

٢. الدفاع عن العقيدة كما ورد في الآية : وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(٦).

٣. الدفاع عن المستضعفين كما في قوله تعالى : وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا^(٧) .

- فروع الجهاد

يقسم في الإسلام إلى دفاعي و ابتدائي^(٨)، وما يهمنا من الفقرات الفرع الثاني القادم فروعه:

أولاً: الجهاد العيني . ثانياً: جهاد الكفاية أو الجهاد الكفائي (موضع البحث) .

- الكفاية في اللغة

كفى يكفي كفاية , إذا قام بالامر, ويقال كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيره واكتفيت بالشيء استغنيت به أو اقتنعت به واكتفى , أضطلع^(٩).

أما اصطلاحاً: فترجع الكفاية إلى هذا المعنى اللغوي وهو القيام بالامر المطلوب والاضطلاع به.

إن فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي^(١٠), فالجهاد فرض بلا خلاف □, لكنه فرض كفاية , لا فرض عين^(١١).

أن الوجوب الكفائي هو ذلك الوجوب الذي يكشف عنه خطاب موجه إلى المكلفين لامتنال أمر يتعلق غرض الشرع بتحصيله , بحيث يسقط عنهم فيما إذا امتثله بعضهم

امثالاً يتحقق به ذلك الغرض ، بينما يعاقب الجميع فيما إذا لم يمثل منهم من تحصل به الكفاية .

وهو خلاف الوجوب العيني الذي يكون خطابه الكاشف عنه متوجهاً لكل فرد من المكلفين ، ولا يسقط عن بعضهم بامثال البعض الآخر ، بل أن يمثل كل شخص منهم حتى يسقط عنه ، فغرض الشرع لا يتحقق إلا بذلك .

- العلة من الجهاد

تتمثل العلة من الجهاد في الرأي المشهور للفقهاء والمتمثل في فتوى السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره)^(١٢) : الطائفة الأولى : الكفار المشركون غير أهل الكتاب ، فإنه يجب دعوتهم إلى كلمة التوحيد والإسلام ، فإن قبلوا وإلا وجب قتالهم وجهادهم إلى أن يسلموا أو يقتلوا وتطهر الأرض من لوث وجودهم . ولاخلاف في ذلك بين المسلمين قاطبة ، ويدل على ذلك غير واحد من الآيات الكريمة ، منها قوله تعالى (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ)^(١٣) .

- منهجية الجهاد

الجهاد بكل أقسامه وفروعه يخضع لضوابط شرعية تحدث عن الفقهاء وذكرتها كتب الجهاد ، إلا أن المنهجية العامة وضعها لنا مشرع الجهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم حججه على الخلق الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ساروا على نهجه القويم .

هذه المنهجية العامة مرتبطة بالإنسانية التي هي هدف الإسلام في دعواه ، بمعنى حتى في أحلك الظروف لابد أن يرى القاضي والداني جوهر روح الإسلام في التعامل حتى مع العدو .

نستعرض بعض هذه المنهجية من خلال الأخبار والروايات الواردة إلينا من أهل البيت عليهم السلام :

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا بسم الله ، وفي سبيل

الله، وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا تغلّوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها^(١٤).

و من حديث أنس بن مالك، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (انطلقوا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلّوا، وضمّوا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)^(١٥).

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) إنه قال: (إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة ثم يقول: غزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تغلّوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهر^(١٦)، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوا بالماء...)^(١٧).

وما يتبين من خلال هذه الروايات التركيز المنهجي على حقوق الإنسان في الجهاد، وإن النهي الوارد كان يخص من لا يقدرّون على مواجهة المسلمين بالعدوان والقتال وإن كانوا كافرين^(١٨).

إما وصي رسول الله وخليفته وأمام الإنس والجان، بين لنا فضل الجهاد والآثار السلبية لتركه قائلاً: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألْبَسَهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ، وشَمَلَهُ البلاءُ، ودَيْثَ الصَّغارِ والقِمَامةِ - أي ذُلُّ الصَّغار والإهانة -، وضربَ عَلى قَلْبِهِ بالإسْهَابِ - الثَّثرة -، وأَدِيلَ الحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وَسِيمَ الخَسْفِ - أي كلف المشقة - وَمَنَعَ النِّصْفَ □^(١٩).

وجاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام شدة احتياطه في حروبه في هذا الأمر، وقد قال في عهده لمالك الأشتر - الذي نعلم مكانته عنده ومنزلته لديه - (إياك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء ادعى لنقمة واعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقّها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما

يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن^(٢٠).

المبحث الثاني

- تاريخ فتوى الجهاد الكفائي عند أتباع أهل البيت عليهم السلام
المعنى بإصدار فتوى الجهاد الكفائي هو نائب الإمام المعصوم المجتهد الفقيه الجامع
للشروط وحسب ما تقتضي الضرورة الموضوعية لإنقاذ الخطر الخارجي المحدق بالبلاد
والعباد والمقدسات .

ومن خلال جهدنا القاصر استطعنا تلخيص مجمل الفتوى التي صدرت في العصر
الحديث من القرن التاسع عشر إلى وقتنا المعاصر . وكالاتي :

١. الفتوى الأولى : الاعتداءات الروسي على إيران

لعل أول فتوى لأتباع أهل البيت عليهم السلام كانت في القرن التاسع عشر بعد
اعتداءات قوات الروس في شمال إيران وارتكاب المجازر بحق الأحرار الإيرانيين ، إذ
اصدر السيد محمد تقي الشيرازي^(٢١) فتوى سنة ١٣٢٩ هـ. وبعد وفاة الشيرازي تصدى
الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة مروراً بفتوى كاشف الغطاء ضد
الهجوم الروسي^(٢٢).

وخلال مدة حكمه الحاكم الايراني ناصر الدين شاه التي امتدت إلى النصف الثاني من
القرن التاسع عشر. إذ أدى هذا الحكم وسياسته إلى أن يعيش الشعب الإيراني بتدهور
كاملاً .

تحرك علماء الشيعة من أجل أنفاذ الشعب الايراني. والمحافظة على استقلال البلد المسلم
، فكان تحرك أولي .

وفي نهاية عهد ناصر الدين شاه ذهب من العراق إلى ايران السيد محمد الطباطبائي^(٢٣)
أحد تلاميذ الميرزا محمد حسن الشيرازي^(٢٤).

وفي عام ١٣١٣ هـ دعا السيد الطباطبائي إلى ضرورة تأسيس مجلس شورى شعبي يهدف
لإقامة العدل .

وأثناء أجواء متوترة أغتيل ناصر الدين شاه، فتولى مقاليد سدة الحكم أبنة مظفر الدين شاه الذي كان ضعيفاً في إدارة الدولة، الأمر الذي أزداد من تردي الأوضاع، وهنا بعثوا علماء الشيعة في النجف وطهران عدة رسائل الى الحاكم عام ١٩٠٢م وطلبوا بمعالجة الوضع المتردي وتأسيس مجلس لممثلي الشعب^(٢٥)، وبمظاهرات واحتجاجات رغم معارضة شاه رئيس وزراء الحاكم لتنفيذ مطالب العلماء، وفي ضوء هذه الاوضاع قرر علماء الدين اعتصام اكبر فتوجهوا الى مدينة قم عام ١٩٠٦م ومعهم الف شخص يتقدمهم علماء الدين ومن بينهم الشهيد فضل الله^(٢٦) النوري^(٢٧)، فكان الدور الرئيسي للعلماء في التغيير.

وفي ظل هذه الأحداث والضغط الذي مارسه المتظاهرون أستجاب الشاه للنظام الدستوري وتحديداً في عام ١٩١٦م وهنا انتهت المظاهرات وعاد علماء الدين الى طهران وجرت الانتخابات لمجلس الشورى وعلق الدكتور علي الوردي على ذلك بقوله: (رغم أن إعلان النظام الدستوري كان يمثل انتصاراً لجهاد علماء الدين الشيعة ضد دكتاتورية السلطة، إلا أنه الانتصار الذي لم يستطع أن يحول نفسه إلى اتجاه ثابت ومستقر فلقط أحيط بنشاط مكثف من قبل دوائر الاستعمار بغية احتوائه والتأثير على مساراته الإسلامية الأصلية، حيث استطاعت تلك الدوائر ولا سيما بريطانيا ان تدفع بالعلمانيين إلى المقاعد النيابية، من اجل التأثير على صياغة مواد الدستور وحرفه عن الشريعة الإسلامية، وقد نجح أصحاب الاتجاه العلماني والتغريبي في تحقيق الرغبة الاستعمارية، حيث جاء الدستور في كثير من نصوصه عبارة عن ترجمة حرفية للدستور البلجيكي الصادر عام ١٨٣٠م فهو يقوم على أساس الأفكار الديمقراطية التي كانت شائعة في أوروبا)^(٢٨).

٢. الفتوى الثانية التصدي لمواجهة الاستعمار الإيطالي على ليبيا .

كانت ليبيا خاضعة لحكومة اسطنبول مباشرة، مما جعل إيطاليا تقوم بانزال قواتها العسكرية في طرابلس وبنغازي، فأصدر علماء الشيعة الفتوى الشهيرة ضد الاحتلال الايطالي ومنهم الشيخ محمد كاظم الخراساني^(٢٩) والشيخ عبدالله المازندراني^(٣٠) وشيخ

الشرعية الاصفهاني^(٣١) والشيخ علي رفيش^(٣٢) والسيد محمد سعيد الجبوبي^(٣٣) والسيد مصطفى الكاشاني^(٣٤) والشيخ النجفي صاحب الجواهر^(٣٥) وهذا نص الفتوى: (من علماء النجف الأشرف إلى كافة المسلمين الموجودين ومن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار لمحمد (صل الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الإسلام، لا يخفى عليكم أن جهاد الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه، قال تعالى: انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٣٦)).

هذه جنود إيطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها، وخربوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها، مالكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون؟ أنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرم النبي (صل الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ويمحوا الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها، وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ، فله في التوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين، فبادروا إلى ما افترض الله عليكم من الجهاد في سبيله، وتفقدوا ولا تفرقوا، واجمعوا كلمتكم، وابذلوا أموالكم، وخذوا حذركم، واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم^(٣٧). وكذلك أصدر السيد كاظم اليزدي^(٣٨) بعد عدة أسابيع فتواه ضد هذا الاحتلال :

اليوم هجمت الدول الأوروبية على الممالك الإسلامية من كل جهة فمن جهة هجمت إيطاليا على طرابلس الغرب، ومن جهة أخرى روسيا بتوسط عساكرها احتلت شمال إيران، وبريطانيا تدخلت في جنوبها، وهذا موجب لاضمحلال الإسلام، فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب والعجم أن يهيئوا أنفسهم إلى دفع الكفر عن المالك الإسلامية، وأن لا يقصروا ولا يخلوا في بذل أنفسهم وأموالهم في جلب الأسباب التي

يكون بها إخراج عساكر إيطاليا عن طرابلس الغرب وإخراج عساكر روسيا والإنجليز من شمال وجنوب إيران، التي هي من أهم الفرائض الإسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية والإيرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين^(٣٩).

٣. الفتوى الثالثة ضد الاحتلال البريطاني على العراق
أثناء اعلان بريطانيا الحرب على العراق، أرسلت قواتها للاحتلال البصرة حيث نزلت تلك القوات في الفاو .

وصلت رسالة من البصرة إلى علماء الدين وبينت الرسالة الخطر الحاصل على المدينة فقد جاء فيها : (ثغر البصرة الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع)^(٤٠).

وعلى الفور استجاب علماء الدين فقد عقدوا اجتماعاً كبيراً في مسجد الهندي واصلوا فيه الفتوى ضد الاحتلال البريطاني وخطب السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري^(٤١) والشيخ جواد الجواهري^(٤٢)، وفي الصحن العلوي الشريف خطب السيد كاظم اليزدي في الناس ودعاهم للجهاد وهنالك أوجب على الغني العاجز بدأ أن يجهز من ماله الفقير القوي^(٤٣)، وفي الكاظمية ترأس حركة الجهاد الشيخ مهدي الخالصي وأصدر فتواه بالجهاد عن بلاد الإسلام وكتب في ذلك رسالة أسماها (الحسام البتار في جهاد الكفار) وأصدر فتوى أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومن أمتنع عن بذل ماله وجب أخذه كرها^(٤٤).

٤. الفتوى الرابعة في احتلال فلسطين عام ١٩٤٨.

٥. الفتوى الخامسة فتوى السيد الخوئي

الأحداث الشعبانية التي دعا فيها بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام وكان ذلك عام ١٩٩١م .

٦. فتوى الدفاع عن مرقد السيدة زينب عليها السلام في سوريا .

٧. فتوى السيد السيستاني الشهيرة بالجهاد الكفائي للدفاع عن البلاد والعباد والاعراض والمقدسات والتي اعلنت من ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة على لسان الشيخ عبد المهدي الكربلائي وكيل السيد السيستاني في العام ٢٠١٤م.

المبحث الثالث

- فتوى الجهاد الكفائي، العوامل الأساسية لها، متابعتها، أبعادها، نتائجها.

❖ شهرة صاحب الفتوى

آية الله العظمي سماحة السيد علي الحسيني السيستاني^(٤٥). مشهور بسيرته المرجعية والفلسفية الروحية من الذين لا يؤمن بالعنف واللجوء للقوة كوسيلة لتحقيق الغايات. وسيرة حياته التي عاصرناها تشير إلى سلميته واعتداله، ولم نلاحظ عليه أية صراعات أو خلاف مع أحد طيلة حياته، فمجمال طروحاته ومتبنياته تدعو للحوار والحكمة والسلام.

قبل الفتوى

بدون أدنى شك، فإن المرجعية العليا الرشيدة من واجباتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال مبلغيها وبياناتها السديدة، وبنفس الوقت أن تحافظ على أروقة دماء الأبرياء. وهذا لا يتم إلا بالمتابعة للحدث، إذ ترى المرجعية عدم الاستقرار والانقسام السياسي والانفلات الأمني معاً، الطائفية السياسية والهيمنة الحزبية، واستشرأب عامل الفساد الذي استشرى في المؤسسة الأمنية وعدم المهنية في إدارة تلك المؤسسة، وأصرار الدول الإقليمية على جعل العراق ساحة لتصفية حساباتها وبسط النفوذ، علاوة على ذلك حياة المواطن العراقي مهددة في كل وقت.

ولعل هذه المسائل نقطة في بحر من متابعة المرجعية لشأن البلاد والعباد وفي كل الأحوال هو خطر خارجي وداخلي، نهت له المرجعية منذ رسالته إلى الشعب العراقي حول الفتنة الطائفية بتاريخ ٢٢/ جمادى الآخرة / ١٤٢٧هـ المصادف ١٩ □ ٧ □ ٢٠٠٦^(٤٦). وإن

ما يؤيد وجهة النظر هذه بيان المرجعية قبل فتوى الجهاد الكفائي بأيام ، ففي تاريخ ١٠/٦/٢٠١٤ أصدرت البيان التالي :

تتابع المرجعية الدينية العليا بقلق بالغ التطورات الأمنية الأخيرة في محافظة نينوى والمناطق المجاور لها، وهي إذ تشدد على الحكومة العراقية وسائر القيادات السياسية في البلد ضرورة توحيد كلمتها وتعزيز جهودها في سبيل الوقوف بوجهه الإرهابيين وتوفير الحماية للمواطنين من شرورهم تؤكد على دعمها واسنادها لأبنائها في القوات المسلحة وتحثهم على السير والثبات في مواجهة المعتدين، رحم الله شهداءهم الأبرار ومن على جرحاهم بالشفاء العاجل إنه سميع مجيب^(٤٧).

لقد عاصرنا الأحداث ورأيناها بأم أعيننا ، نحر الأبرياء على قدم وساق ، تفجيرات ، تهجير قسري ، اغتيلات ، تدمير البنى التحتية ، زيادة التطرف والارهاب الذي بدأ من سجون احتلال الولايات الأمريكية المتحدة في العراق وقواتها، ومن المفترض أنها راعية للملف الآمني لأكثر من ٨ سنوات كانت على مرأى ومسمع توسع المجاميع الإرهابية داخل المحافظات والمدن العراقية . والأدهى انتهاك الأعراض بما يسمى جهاد النكاح وتزويج صبايا بعمر الورود من قبل الداعمين للإرهاب إلى الإرهابيين القادمين من بلدان مختلفة .

فهذه الأحداث شائعة ويراها القريب والبعيد في العراق، فكيف بمرجعية دينية نزيهة دابة على حماية البلد وحقوق المواطنين ؟

منذ عام ٢٠٠٣ سميت المجاميع الإرهابية بعدة مسميات ابتداء من تنظيم القاعدة وجماعاته من كتائب وسرايا^(٤٨). إلى أن وصل إلى مسمى داعش وجميعهم يحملون فكرة تصفية الآخر إذا كان مخالف لهم ، والتصفية بقتل المواطنين العراقيين من خلال التفجيرات الإرهابية والانتحاريين والاغتيالات المنظمة الجماعية والفردية فضلاً عن تهجير العوائل وأخذ الاتوات وارهاب الناس وعملت تلك المجاميع بشكل خاص على استهداف المؤسسات العامة والأسواق والقوات الأمنية وتخريب البنى التحتية.

- إعلان فتوى الجهاد الكفائي^(٤٩)

بتاريخ (١٤/ شعبان /١٤٣٥هـ) الموافق (١٣/٦/٢٠١٤م) ، أعلن ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبته الثانية في الصحن الحسيني المقدس الفتوى، قائلاً:

(إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وإن الارهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنيوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف ، فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم ، ومن هنا فإن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختص بطائفة دون أخرى أو بطرف دون آخر. وأردف .. إن التحدي وإن كان كبيراً إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر .

وأكمل : أنه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف والاحباط في نفس أي واحد منهم ، بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا.

ودعا في هذه الخطبة : القيادات السياسية الى ترك الاختلاف والتناحر ولاسيما خلال هذه الفترة العصيبة وحثهم على توحيد مواقفهم ودعمهم واسنادهم للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات ، موضحاً انهم - أي القيادات السياسية - أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة.

وأضاف : أن دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية هو دفاع مقدس ، ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الاسلام ، يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى.

ثم خاطب الكربلائي أبناء القوات المسلحة قائلاً: «أجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح». وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فإنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى.

المطلوب أن يحث الأب ابنه والأم ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمة هذا البلد ومواطنيه. وتابع قائلاً: «إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنه إذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقيين».

ومن هنا فإن المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية). المبررات التي ذكرت في هذه الفتوى كلها تشير إلى العوامل الأساسية التي ذكرناه في المقدمة.

وما يلاحظ في هذه الفتوى أنها دفاعية وليست هجومية من أجل الحرب والقتال، بمعنى التصدي للخطر المحدق.

إن المرجعية شخصت وقاع الأحداث من خلال مواقفها وبياناتها وطروحاتها التي يمكن أن نوجز بعضها منها، كالآتي^(٥٠):

١. تمديد غطاء الإرهاب باستغلال عدم الاستقرار السياسي واستخدام الطائفية السياسية.

٢- استشرء الفساد الإداري والمالي.

٣- غياب الرؤية الاستراتيجية لمعالجة الملف الأمني معالجة شاملة وليس عسكرية فقط.

٤- التقاطع والصراع بين مختلف المؤسسات الأمنية.

- ٥- عدم تولية الأكفاء.
 - ٦- الافتقار لتنويع التسليح والتدريب.
 - ٧- التدخلات الإقليمية والدولية وغياب الاتفاقيات الأمنية الرصينة.
 - ٨- عدم الاهتمام بالجانب الاستخباراتي والمخابراتي
 - ٩- ضعف الإجراءات القضائية الرادعة.
- إذن جاءت الفتوى من أجل السلم و تحرير الإنسان والأرض من بطش وقتل أعتى ارهاب في العالم.
- والسؤال الذي يفرض نفسه , هل الفتوى اقتصرت على الإعلان والتنفيذ دون متابعة وأبعاد أخرى ؟
- الإجابة على هذا السؤال مرهونه بالواقع من ناحية ما أصدرته المرجعية من بيانات وتوجيهاتها بعد الفتوى ,ومعالجة بعض ما يحدث من أضرار بسبب عواقب المواجهة المسلحة .
- المتابعة
- أ.بتاريخ (٢٠١٥/٢/١٢) أصدرت المرجعية نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد
- وفي هذا البيان تم ذكر الحدود والآداب العامة التي أوجب الله سبحانه وتعالى مراعاتها في الجهاد , منها ما تطرقنا له في مقدمة البحث عن حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباع سيرة أهل البيت عليهم السلام فيها .
- ومن بين ثنايا النصائح : فالله الله في النفوس ، فلا يُستحلّن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الاحوال ، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها.
- والفقرة الأخرى :- الله الله في حرّمة عامّة الناس ممن لم يقاثلوكم ، لاسيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء ، حتّى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم ، فإنّه لا تحلّ حرّمة من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم.

أما الفقرة الثالثة : الله الله في اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرمتهم. والرابعة : وإياكم والتعرض لغير المسلمين أيّاً كان دينه ومذهبه فإنهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرض لحرمتهم كان خائناً غادراً، وإنّ الخيانة والغدر لهما أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه.

والفقرة الخامسة الله الله في أموال الناس، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلاّ بطيب نفسه، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنما حاز قطعة من قطع النيران. السادسة : الله الله في الحرمات كلّها، وإياكم والتعرض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره.

السابعة : ولا تمنعوا قوماً من حقوقهم وإن أبغضوكم ما لم يقاتلوكم. والفقرة الثامنة : واعلموا أنّ أكثر من يقاتلكم إنّما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضللين بما يوجب قوة الشبهة في أذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادروها بحسن تصرفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنه أحياء، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله.

واستمرت فقرات النصح المستنبطة من سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب. أعلنت المرجعية الدينية العليا من الصحن الحسيني المقدس إلى جملة وصايا في خطبة الجمعة، إذ تطرق ممثل المرجعية سماحة السيد أحمد الصافي بتاريخ (٧/آب/٢٠١٥م) إلى ذكر مطالب من قوتين القوى السياسية والحكومة العراقية، فمن بين ثانياً المطالب التالي :

١. المطلوب من القوى السياسية ان توحّد مواقفها في هذه المعركة التاريخية التي هي معركة وجود للعراق ومستقبله.

٢. المطلوب من الحكومة أن تسخر مختلف إمكاناتها لإسناد ودعم المقاتلين فإنّ لهم الأولوية القصوى في هذه الظروف.

وما يلاحظ رغم صعوبة الظروف من ناحية التناحر الطائفي والانقسام السياسي ومعادلة الصفر المتكررة في الانتخابات، إلا أن المرجعية توجه وتركز على مسألة توحيد الموقف فيما بينها، ثم دعم القوات الأمنية.

أن هذه المتابعة الدقيقة تحافظ على هبة الفتوى ومصادقتها، إذ تضمنت حقوق إنسانية قامت على أساسها الدعوة الإسلامية، وداعش شوه الصورة الإسلامية بهدر حقوق الإنسان، والليب حتى إذا كان عدوا يفهم الفرق بين جوهر الإسلام الحقيقي من الدعوات الضالة للحركات الإرهابية.

- الأبعاد

١. البعد الوطني

أ. الفتوى خاطبت جميع العراقيين بجميع طوائفهم وقومياتهم، وهذا المسألة تعني الدعوة إلى واجبات المواطنة ودفاع الجميع عن الوطن ما يعني الوحدة بين الشرائع والاطياف والمكونات العراقية، فاعتمدت المرجعية الفكر الوسطي المعتدل الذي بُني عليه الإسلام والديانات السماوية كأساس في التعايش السلمي بين مكونات أي مجتمع.

ب. دعت الفتوى الانخراط في صفوف القوات الأمنية حصراً، وعدم اعطاء أية شرعية لأية جهات مسلحة إن كانت تابعة لجهات إسلامية أو سياسية.

ج. اعتبرت من يقتل في معارك الدفاع عن العراق بأنهم شهداء.

٢. البعد الإنساني

أ. رعاية عوائل الشهداء والجرحى بأنفاق مالي بلغ مليارات الدنانير من مكتب سماحته، و كان يشملهم برعايته الابوية ويتابع امورهم بشكل خاص، ولم ينقطع في إرسال الوفود التي تمثله إلى جبهات القتال لزيادة الدعم المعنوي للمقاتلين.

ب. دعم المهجرين والنازحين باهتمام خاص ومباشر من حيث توفير الامكانيات المادية والمعنوية وحشد المخلصين من مواكب حسينية وهيئات ومنظمات وعشائر وفعاليات اجتماعية ومؤسسات حوزوية لتقديم كل الامكانيات لاهالي المناطق التي تتعرض لعمليات نزوح وقتال لم تنفك خطب الجمعة في الدعوة الى اغاثة النازحين حيث دعت

مجدداً إلى ذلك في خطابها قائلة : ((إنّ مئات الآلاف من المواطنين لا يزالون مهجرين ونازحين من مدنها وقراهم، ويعانون أشدّ الظروف صعوبةً وقساوةً، والإمكانات الحكومية -كما يقول المسؤولون- أصبحت محدودة والمساعدات الدولية شحيحة، ومن هنا فإننا في الوقت الذي نقدرّ عالياً الجهود الكبيرة والمبدولة في هذا المجال خلال الشهور الماضية، فإننا نهيب بالمواطنين الذين تفضلّ الله عليهم بالرزق الواسع والإمكانات المالية الجيدة أن يساهموا بصورةٍ أوسع في إغاثة النازحين وتأمين احتياجاتهم، فإنّ ذلك من أفضل أعمال الخير والبر، ويعبر عن عمق الشعور بالمسؤولية والحسّ الوطني والغيرة على البلد ومصالحه، ويمثّل مستوى يُفتخر به من المواطنة وسينعكس إيجابياً على مصالح الناس والبلد وعلى نفس البازل عاجلاً أو آجلاً)).

ولم تكتفي المرجعية بذلك، بل حشدت المنظمات الدولية تجاه رعاية النازحين من أجل تحرير الناس وممتلكاتهم وأرضهم من بطش هؤلاء الأشرار.

- نتائج الفتوى

١. منعت تقسيم العراق وداعش من التسلط على البلاد والعباد، فحافظت على وحدة العراق .

٢. دمرت الفتوى مخطط أسود وأوقفت امتداد تنظيم داعش الإرهابي.

٣. عززت من القانون وهوية الدولة.

٤. دعمت القوات الأمنية ومؤسساتها دعماً كاملاً.

٥. أعطت زخم كبير لإصلاح المنظومة السياسية .

.....

الهوامش :

- (١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤
- (٢) النصوص منقولة بتصرف الباحث من الشيخ عقيل زيد الشامي , الجهاد في الإسلام وجهة نظر أخرى , مركز ابن إدريس الحلبي للدارسات الفقهية , الطبعة الأولى , دمشق , السيدة زينب , (٢٠٠٨م) , ص ١-٣٧.
- (٣) سورة التوبة , آية ٧٩.
- (٤) ابن منظور , لسان العرب , نشر أدب حوزة , قم (١٤٠٥هـ) , ج ٣ , ص ١٣٣ , مادة جهد.
- (٥) سورة الحج , آية ٣٩.
- (٦) سورة الأنفال - الآية ٣٩.
- (٧) سورة النساء , آية ٧٥.
- (٨) أنظر : كتاب [وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة] نجد (١٢٢٣ حديثاً) عن الجهاد وفضله وأحكامه وما يتعلق به.
- (٩) أي قوي به , والمطلع : هو القوي على الأمر المحتمل , ينظر الفراهيدي , الخليل بن أحمد , العين (دار ومكتبة الهلال) , ج ٥ , ص ٤١٣.
- (١٠) ابن قدامه , الشرح الكبير على متن المقنع , دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان) , ج ١٠ , ص ٣٦٤.
- (١١) المرتضى , شرح الأزهري , مكتبة غمضان , صنعاء (١٤٠٠هـ) , نسخة مصورة من طبعة مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر (١٣٤٠هـ) , ج ٤ , ص ٥٢٦.
- (١٢) آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي , منهاج الصالحين , ط ٢٨ , مهر - قم (١٤١٠هـ) , ج ١ , ص ٣٦٠.
- (١٣) سورة النساء , آية ٧٤.
- (١٤) الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) , وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة , تحقيق : الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي , نشر : دار أحياء التراث العربي , بيروت , لبنان , ط ٥ , ١٤٠٣هـ . ج ١١ , ص ٤٣.
- (١٥) سليمان بن الأشعث السجستاني , (ت ٢٧٥هـ) , سنن أبي داود , تحقيق : سيد محمد اللحام , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ط ١ , ١٤١٠هـ , ١٩٩٠م , ٥٨٨ - ٥٨٩.
- (١٦) النصوص منقولة بتصرف الباحث من الشيخ عقيل زيد الشامي , الجهاد في الإسلام وجهة نظر أخرى , مركز ابن إدريس الحلبي للدارسات الفقهية , الطبعة الأولى , دمشق , السيدة زينب , (٢٠٠٨م) , ص ١-٣٧.
- (١٧) الحر العاملي , وسائل الشيعة , ١١ / ٤٣ - ٤٤.
- (١٨) السيد محمد حسين فضل الله , (ت ١٤٣١هـ) , الجهاد , دار الملاك للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , ط ١ , ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م , ص ٢٠٧.

(١٩) الشريف الرضي , نهج البلاغة , حققه الشيخ قيس بهجت العطار , ط ١, مؤسسة الرافد للمطبوعات , (٢٠١٠م), خطبة ٢٧, ص ٨٤.

(٢٠) نهج البلاغة , تحقيق: صالح , ص ٤٤٣.

(٢١) الميرزا محمد تقي الشيرازي (١٢٥٦-١٣٣٨ هـ) الشهير بالميرزا الثاني أو الميرزا الصغير, من مراجع تقليد الشيعة, تزعم ثورة العشرين في العراق وأصدر فتوى الجهاد ضد الاستعمار البريطاني. ولد في إيران, ثم هاجر إلى العراق, وأقام في كربلاء, ثم شد الرحال مع أستاذه الميرزا حسن الشيرازي إلى سامراء, وبعد وفاة أستاذه استلم زعامة الحوزة العلمية في سامراء, كما وتم تقليده من قبل بعض الشيعة, ثم أصبح مرجعاً مطلقاً للطائفة الشيعية, وذلك بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي.

(٢٢) أعلن علماء النجف الجهاد ضد روسيا, وكان من بينهم السيد كاظم اليزدي ([سياحت شرق, آغا نجفي قوجاني, (ب. ط و ت), ص ٤٦٨]). وأنهم سيتوجهون إلى الكاظمية على رأس المجاهدين في طريقهم لأيران, فيما دعا الآخوند الخراساني أهل العشائر العراقية فاستجاب له بالالف ([زند كاني آخوند خراساني, عبد الحسين مجيد كفاي, نشر: استقلال, طهران, ايران, (ب. ط و ت), ١٨٤ - ١٨٥]), وفي الكاظمية كانت الاستعدادات واسعة لحركة الجهاد, فقد نصبت الخيام لمسافات طويلة, وخرجت العشائر العراقية في عشرة آلاف مقاتل وتوجهوا إلى منطقة المحمودية لاستقبال علماء الدين وكتائب المجاهدين القادمين من النجف.

(٢٣) السيد محمد المجاهد (١١٨٠ هـ - ت ١٢٤٢ هـ) بن السيد علي بن محمد علي الطباطبائي, صاحب المناهل , ولد في كربلاء , بعد رجوعه من الجهاد ضد الروس توفي السيد المجاهد في مدينة قزوین سنة ١٢٤٢ هـ , وكان قد أوصى بنقل جثمانه إلى مدينة كربلاء مسقط رأسه, فنقل إلى كربلاء وقبره بين الحرمين , أبيه هو صاحب الرياض. خلال إقامته في الكاظمية كانت تدور مراسلات بينه وبين الشاه القاجاري فتح علي شاه, كان الشاه يحترمه وكان السيد يكتب له بعض التعليمات وأخيراً تأزمت الأمور في إيران, فطلب فتح علي شاه منه أن يتخذ موقفاً, فتوجه السيد محمد المجاهد إلى إيران مع جماعة من العلماء والطلاب وأهل الصلاح لنصرة المقاتلين المسلمين الذين يحاربون الروس, فلما دخلها عظمه أهلها غاية التعظيم واستقبله الشاه علي القاجاري, وأصدر فتوى الجهاد ضد الروس وتوجه بنفسه إلى ساحات القتال لذا لُقّب بالمجاهد, فصار له في إيران دورا بارزا حتى أن المندوب الروسي كان يحاول بكل جهده أن يلتقي به ولكنه رفض رفضاً قاطعاً.

(٢٤) آغا بزرك الطهراني , هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي, مؤسسة الوفاء, بيروت, لبنان, (ب. ط و ت), ص ١٥٣.

(٢٥) عبد الهادي حائري, تشيع ومشروطة, دار الاستقلال, قم, ايران, ط ١, (ب. ط و ت), ص ١٠٣.

(٢٦) الشهيد فضل الله بن الملا عباس النوري (١٢٥٩ - ت ١٣٢٧ هـ) , ولد في قرية لاشك كجور محافظة مازندران , وكان من علماء الشيعة البارزين والمناضلين في إيران وله دور فعال في العديد من الاحداث, منها ثورة التبناك. في عام ١٩٠٩م بسبب معارضته للحكومة الدستورية ودعا إلى الحكومة الشرعية, قبض عليه وحوكم بتهمة الخيانة ثم

أعدم في ١٣ رجب عام ١٣٢٧ قبض عليه بسبب معارضته للحكومة القاجارية في إيران. فصول قتل بفتوى من أحد علماء رجالات السياسة آنذاك ودفن في مرقد فاطمة المعصومة في قم.

(٢٧) جلال الدين مدني، التاريخ السياسي لايران، نشر: استقلال، طهران، ايران، ط ١، (ب . ت)، ج ١ / ٥٦

(٢٨) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، دار الملاك، بيروت، لبنان، ط ٢، (ب . ت)، ج ٣ / ١١٢

(٢٩) الآخوند محمد كاظم بن الملا حسين الهروي الخراساني النجفي (١٢٥٥ هـ - ١٣٢٩ هـ)، ولد في مشهد، توفي في النجف صحن أمير المؤمنين عليه السلام، كان الآخوند يرى الحركة الدستورية آلية للحيلولة دون الظلم والاضطهاد في حق الشعب، وكان يرى أن من الواجب دعم تلك الحركة؛ لذلك دعا إلى الجهاد والكفاح بعد أن قصف الشاه محمد علي القاجاري المجلس النيابي في ٢٣ جمادي الأولى سنة ١٣٢٦ هـ.

ومن ضمن الخدمات الاجتماعية التي قدمها الآخوند الخراساني بناء ثلاث مدارس علمية في النجف كما أنه أسس مدارس للعلوم الحديثة في النجف وكربلاء وبغداد.

(٣٠) المازندراني (١٢٥٦ - ١٣٣٠ هـ) عبد الله بن محمد نصير بن محمد بن محمود الجيلاني المازندراني، النجفي، ولد في بلدة بار فروش (بابل، وهي من مدن مازندران)، توفي في النجف.

كان فقيهاً بارعاً، أصولياً، محققاً، من كبار المدرسين، وأحد مراجع التقليد والإفتاء.

(٣١) شيخ الشريعة (١٢٦٦ - ١٣٣٩ هـ) فتح الله بن محمد جواد النمازي، الشيرازي الأصل، الأصفهاني ثم النجفي، ولد في أصفهان

كان فقيهاً بارعاً، أصولياً محققاً، علامة في العلوم العقلية، من أعلام الأمامية، شارك في حركة الجهاد عام (١٩١٤ م) بعد احتلال البصرة من قبل القوات البريطانية، و رابط مع العلماء والمجاهدين في محور القرنة (من توابع البصرة). توفي ليلة الأحد الثامن من شهر ربيع الآخر بمدينة النجف الأشرف، ودفن قدس سره في الصحن الغروي الشريف في أحد الغرف الشرقية.

(٣٢) الشيخ علي بن ياسين بن رفيع آل عنوز النجفي (١٢٦٠ هـ - ١٣٣٤ هـ)، ولد في النجف، توفي فيها ودفن بالصحن الحيدري. فقيه، مجتهد، أفتاؤه بوجوب الجهاد ضد الإيطاليين عند غزوهم لطرابلس الغرب، كما أفتى بالجهاد ضد الإنكليز عام ١٩١٤ م.

(٣٣) السيد محمد سعيد بن محمود بن كاظم بن هاشم بن حمزة بن مصطفى الحسيني النجفي الحنّوبي (١٢٦٦ - ١٣٣٣ هـ)، ويرجع نسب آل الحنّوبي إلى عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد في النجف الأشرف، وأصيب في معركة الشعبنة بالبصرة نقل إلى الناصرية فتوفي في مقره ببيت العضاض، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف. ودفن في العتبة العلوية.

مجتهد، مجاهد، كان أحد الشعراء الكبار، وفي مقدمة حركة تجديد الشعر العربي، على أنه انصرف عن الشعر بعد عهد الشباب إلى دراساته الفقهية انصرافاً تاماً. طبع ديوانه غير مرة، ورد ذكر شعره كثيراً في الدراسات الأدبية، وخصوصاً فيما اشتهر عنه من الموشحات.

(٣٤) السيد مصطفى بن الحسين الحسيني الكاشاني الطهراني النجفي (١٢٦٨ - ١٣٣٦ هـ)، ولد في كاشان، تلقى علومه في اصفهان، أنتقل للنجف، وذهب للكاظمية وتوفي فيها.

شارك في الجهاد في البصرة

(٣٥) الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن عبد الرحيم النجفي المعروف بالشيخ صاحب الجواهر، وإليه تُنسب أسرة آل الجواهري (١١٩٢ هـ - ١٢٦٦ هـ)، ولد بالنجف وتوفي فيها ودفن بمسجده.

سُئل (قدس سره) في مرض موته: إن حدث أمر فمن المرجع في التقليد؟ فأمر بجمع أهل الحل والعقد من العلماء فاجتمعوا عنده، وكلّ يرى أنّه هو المشار إليه، وكان بعضهم يرى أنّه سيرشّح أحد أولاده؛ لأنّه كان فيهم من يليق لذلك، ولكنّه لمّا غصّ المجلس بالعلماء، سأل عن الشيخ الأنصاري فلم يكن حاضراً معهم، فبعث خلفه، فلمّا جاء قال له: أفي مثل هذا الوقت تتركني؟ فأجابه: كنت أدعو لك في مسجد السهلة بالشفاء، فقال له: ما كان يعود إليّ من أمر الشريعة المقدّسة فهو وديعة الله عندك، ثمّ أشار إليه بالتقليد بعد أن أمره بتقليل الاحتياط.

(٣٦) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣٧) عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، نشر: استقلال، طهران، إيران، (ب). ط و ت، ١٨٤ - ١٨٥.

(٣٨) السيد محمد كاظم بن عبد العظيم الكسّوي النجفي الطباطبائي الحسني الشهير باليزدي (١٢٥٢-١٣٣٧ هـ)، ينتهي نسبه إلى السيد كمال الدين حسن المدفون في زوارة -من توابع يزد- من السادة الطباطبائيين المنتسبين إلى السيد إبراهيم الملقّب بطباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي (ع).

ولد في قرية كسنويّة في مدينة يزد الإيرانية، توفي في النجف ودفن في العتبة العلوية جامع الأمير عمران بن شاهين الخفاجي.

من فقهاء الشيعة والذي ألف كتاب العروة الوثقى، وتصدّى لمرجعية الشيعة، وذلك بعد وفاة الميرزا الشيرازي. معارض النهضة الدستورية (المشروطة) الإيرانية، بعد هجوم إيطاليا على ليبيا، والإنجليز على العراق، وروسيا على إيران، أصدر اليزدي حكماً على وجوب قيام المسلمين بالدفاع عن أنفسهم وأوطانهم.

(٣٩) د عبدالله فياض، الثورة العراقية الكبرى، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ب ط و ت)، ١١٧ - ١١٨. (٤٠) د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ٤/ ١٢٧.

(٤١) الشيخ عبد الكريم بن علي بن كاظم بن جعفر بن حسين بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن عبد النبي بن سعد النجفي الجزائري (١٢٨٩ هـ - ١٣٨٢ هـ)، وينتهي نسبه كما إلى قبيلة بني أسد القاطنة على ضفة الفرات الأدنى المعروفة منازلهم بالجزائر. ولد في النجف وتوفي فيها ودفن في مقبرة الأسرة في محلة العمارة المعروفة بمقبرة آل الجزائري.

كان المستشار الأول للمرجع لأبي الحسن الإصفهاني والعمادة لرعاته وكان ملك العراق فيصل الأول يحتفي برأيه ويبادل له المشورة ويحترم رأيه.

(٤٢) د علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ١٢٧/ ٤.

(٤٣) حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ١٤٩/ ٢.

(٤٤) محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن أمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٥، (ب. ت)، ١٠، ١٥٧/.

(٤٥) السيد علي السيستاني بن السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد محمد رضا من ذرية المحقق الفيلسوف السيد محمد باقر الداماد بن السيد محمد بن السيد محمود بن المطاع الأعظم السيد محمد خان الوزير بن السلطان السيد عبد الكريم خان الثاني بن السلطان السيد عبد الله خان بن السلطان السيد عبد الكريم خان الأول بن السلطان السيد محمد خان بن السلطان السيد مرتضى خان بن السلطان السيد علي خان بن السلطان السيد كمال الدين صادق صاحب الحروب الشهيرة مع الأمير تيمور ابن السلطان العلامة في العلوم العقلية والنقلية الفيلسوف السيد قوام الدين المشتهر بميربزرگ المرعشي المتوفى سنة ٧٨٠ أو ٧٨١ صاحب المزار في بلدة آمل بن العلامة الأجل السيد كمال الدين صادق نقيب الأشراف ببلدة ري ابن السيد عبد الله أبي صادق النقيب بن الشريف أبي عبد الله محمد النقيب الزاهد بن الشاعر الفقيه السيد أبي هاشم النسابة بن السيد الفقيه أبي الحسن علي نقيب الأشراف في الري وطبرستان بن المحدث السيد أبي محمد الحسن النسابة بن فخر آل رسول الله صاحب الكرامات الظاهرة الفقيه القاضي أبي الحسن علي المرعشي صاحب بلدة مرعش بن السيد أبي محمد عبد الله أمير العافين ويقال له أمير العراقيين النسابة المحدث بن السيد الهمام فارس بني الحسين المحدث النسابة أبي الحسن محمد الأكبر ويعرف بالسليق أيضا لسلاقة لسانه وسيفه بن السيد الفقيه المحدث النسابة أبي محمد الحسن المشتهر بالحكيم، الراوي المدني المتوفى بأرض الروم ابن شرف الأشراف فخر العلويين المحدث أبي عبد الله الحسين الأصغر المتوفى ١٥٧، بن سيد الساجدين زين العابدين الإمام علي بن السبط سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين ومولى الثقلين الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين): أنظر: الباحث مجاهد منعر منشور، مقال تحقيق نسب الامام علي السيستاني وتاريخ الاجداد، موقع كتابات في الميزان، بتاريخ ١٦/ ١٠/ ٢٠١٠م.

<https://www.kitabat.info/subject.php?id=887>

(٤٦) رسالة سماحة السيد (دام ظله) للشعب العراقي حول الفتنة الطائفية

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)

صدق الله العلي العظيم

بقلب يعتصر حزناً وألماً أتابع أبناء ما يتعرض له أبناء الشعب العراقي المظلوم يومياً من مأساة واعتداءات : ترويعاً وتهجيراً , خطفاً وقتلاً وتمثيلاً , مما تعجز الكلمات عن وصف بشاعتها وفظاعتها ومدى مجافاتها لكل القيم الإنسانية والدينية والوطنية. ولقد كنت - ومنذ الأيام الأولى للإحتلال - حريصاً على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصبية من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية, مدركاً عظم الخطر الذي يهدد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة, نتيجة لتراكمات الماضي ومخططات الغرباء الذين يتربصون به دوائر السوء ولعوامل أخرى . وقد أمكن بتضافر جهود الطيبين وصبر المؤمنين وأناتهم تفادي الانزلاق إلى مهاوي الفتنة الطائفية لأزيد من سنتين, بالرغم من كل الفجائع التي تعرض لها عشرات الآلاف من الأبرياء على أساس هويتهم المذهبية. ولكن لم ييأس الأعداء وجدوا في تنفيذ خططهم لتفتيت هذا الوطن بتعميق هوة الخلاف بين أبنائه, وأعانهم - وللأسف - بعض أهل الدار على ذلك, حتى وقعت الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام وآل الأمر إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب البلد في كل مكان - ولاسيما في بغداد العزيزة - ويفتك بأبنائه تحت عناوين مختلفة وذرائع زائفة , ولا رادع ولا مانع. إنني أكرر اليوم ندائي إلى جميع أبناء العراق الغياري من مختلف الطوائف والقوميات بأن يعوا حجم الخطر الذي يهدد مستقبل بلدهم, ويتكاتفوا في مواجهته بنبذ الكراهية والعنف واستبدلها بالمحبة والحوار السلمي لحل كافة المشاكل والخلافات. كما أناشد كل المخلصين الحريصين على وحدة هذا البلد ومستقبل أبنائه من أصحاب الرأي والفكر والقادة الدينيين والسياسيين وزعماء العشائر وغيرهم بأن يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذي لو استمر - كما يريده الأعداء - فلسوف يلحق أبلغ الضرر بوحدة هذا الشعب ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والاستقرار والتقدم. واذكر الذين يستيحيون دماء المسلمين ويسترحسون نفوس الأبرياء لانتماءاتهم الطائفية بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : (ألا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا, ألا ليلغ الشاهد الغائب) وبقوله صلى الله عليه وآله (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد حقن ماله ودمه الأبعقهما وحسابه على الله عز وجل) وبقوله صلى الله عليه وآله (من أعان على قتل مسلم بشر كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله). وأخاطب الذين يستهدفون المدنيين العزل والمواطنين المسالمين بما قاله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مخاطباً من راموا الهجوم على حرمة (إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون..[ان] النساء ليس عليهن جناح), فما بالكم تستهدفون أناساً لا دور لهم في كل ما يجري من الشيوخ والنساء والأطفال وحتى طلاب الجامعات وعمال المصانع وموظفي الدوائر الحكومية واضرابهم؟ إن لم يكن يردعكم عن ذلك دين تدعونه أفلا تصدكم عنه إنسانية تظهرون في لبوسها؟ وأقول لمن يتعرضون بالسوء والأذى للمواطنين غير المسلمين من المسيحيين والصابئة وغيرهم أما سمعتم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الإسلام وأرادوا إنتزاع حليها فقال عليه السلام (لو أن امرأة مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً) فلماذا تسيئون إلى إخوانكم في الإنسانية

وشركائكم في الوطن؟ أيها العراقيون الأعزاء .. إنّ الخروج من المأزق الذي يمرّ به العراق في الظروف الراهنة يتطلب قراراً من كلّ الفرقاء برعاية حرمة دم العراقي أياً كان ووقف العنف المتقابل بكافة أشكاله، لتغيب بذلك - وإلى الأبد إن شاء الله تعالى - مشاهد السيّارات المفخّخة والإعدامات العشوائية في الشوارع وحملات التهجير القسري ونحوها من الصور المأساوية، وتستبدل - بالتعاون مع الحكومة الوطنية المنتخبة - بمشاهد الحوار البناء لحلّ الأزمات والخلافات العالقة على أساس القسط والعدل، والمساواة بين جميع أبناء هذا الوطن في الحقوق والواجبات، بعيداً عن النزعات التسلّطية والتحكّم الطائفي والعنصري، على أمل أن يكون ذلك مدخلاً لاستعادة العراقيين السيادة الكاملة على بلدهم ويمهّد لغد أفضل ينعمون فيه بالأمن والاستقرار والرفي والتقدّم بعون الله تبارك وتعالى. وفقّ الله الجميع لما يحبّ ويرضى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٢/ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

علي الحسيني السيستاني

(٤٧) موقع السيد السيستاني، البيانات والاستفتاءات، بيان بتاريخ ١١/٨/١٤٣٥هـ

(٤٨) عبد الأمير الأسدي وعبد العزيز عليوي، بوصلة الإدارة والسلطة في تنظيم داعش، داعش إيكولوجية التمدد، وشم الدين بالدم، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، ط ٢، ٢٠١٦، بغداد، ص ٣١٣-

(٤٩) الفتوى منشورة على موقع سماحة السيد السيستاني الرسمي :

<https://www.sistani.org/arabic/archive/٢٤٩١٨>

(٥٠) بعض نصوص الفقرات منقولة من بحث المدرس المساعد في جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية: الباحث محمد حسين عوده، البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي، بحث مشارك لسنة ٢٠١٧ في مهرجان فتوى الدفاع المقدس الذي أقامته العتبة العباسية المقدسة.

المصادر

(١) ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب حوزة، قم (١٤٠٥هـ)، ج ٣.

(٢) آغا نجفي قوجاني، سياحت شرق، (ب. ط و ت).

(٣) آغا بزرك الطهراني، هدية الرازي إلى المجدد الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (ب ط و ت).

(٤) الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: الشيخ

عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر: دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٥،

١٤٠٣هـ، ج ١١.

- (٥) الشريف الرضي , نهج البلاغة , حققه الشيخ قيس بهجت العطار , ط ١, مؤسسة الرافد للمطبوعات , (٢٠١٠م).
- (٦) زند كاني آخوند خراساني, عبد الحسين مجيد كفائي, نشر: استقلال, طهران, ايران, (ب . ط و ت).
- (٧) جلال الدين مدني, التاريخ السياسي لإيران, نشر: استقلال, طهران, ايران, ط ١, (ب . ت), ج ١ .
- (٨) سليمان بن الاشعث السجستاني, (ت ٢٧٥هـ), سنن ابي داود, تحقيق: سيد محمد اللحام, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ط ١, ١٤١٠هـ, ١٩٩٠م.
- (٩) ابن قدامه , الشرح الكبير على متن المقنع , دار الكتاب العربي (بيروت - لبنان), ج ١٠.
- (١٠) الفراهيدي , الخليل بن أحمد , العين (دار ومكتبة الهلال) , ج ٥.
- (١١) حسن شبر , تاريخ العراق السياسي المعاصر, نشر المكتبة دار النجف الأشرف, النجف الأشرف, العراق, (ب . ط و ت).
- (١٢) عبد الهادي حائري , تشيع ومشروطة, دار الاستقلال, قم, إيران, ط ١, (ب ط و ت).
- (١٣) د. علي الوردي , لمحات اجتماعية من تاريخ العراق, دار الملاك, بيروت, لبنان, ط ٢, (ب . ت), ج ٣ .
- (١٤) عبد الرحيم محمد علي, المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني, نشر: استقلال, طهران, إيران, (ب . ط و ت).
- (١٥) د عبدالله فياض, الثورة العراقية الكبرى, دار الملاك للطباعة والنشر, بيروت , لبنان , (ب ط و ت).
- (١٦) عبد الأمير الأسدي وعبد العزيز عليوي , بوصلة الإدارة والسلطة في تنظيم داعش , داعش ايكولوجية التمدد , وشم الدين بالدم , مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية , ط ٢, ٢٠١٦, بغداد .

- (١٧) المرتضى , شرح الأزهار , مكتبة غمضان , صنعاء (١٤٠٠هـ), نسخة مصورة من طبعة مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر (١٣٤٠هـ), ج ٤.
- (١٨) السيد محمد حسين فضل الله, (ت ١٤٣١هـ), الجهاد, دار الملاك للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ط ١, ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (١٩) أية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي , منهاج الصالحين , ط ٢٨ , مهر - قم (١٤١٠هـ), ج ١, ص ٣٦٠.
- (٢٠) الشيخ عقيل زيد الشامي , الجهاد في الإسلام وجهة نظر أخرى , مركز ابن إدريس الحلبي للدارسات الفقهية , الطبعة الأولى , دمشق , السيدة زينب , (٢٠٠٨م) , ص ١-٣٧.
- (٢١) الباحث محمد حسين عوده , البعد الإنساني لفتوى الجهاد الكفائي , بحث مشترك لسنة ٢٠١٧ في مهرجان فتوى الدفاع المقدس الذي أقامته العتبة العباسية المقدسة.